

درجة بما يصل إلى حد الإهمال، ألا يعني هذا كله حتى بالنسبة للآباء المدركين جيداً أبعاد هذه المشاكل. إلى أي مدى يصل التدمير الناتج عن التغيرات الصغيرة التي حدثت بين الآباء والأطفال؛ وكيف أنه يحول دون تدريب الأطفال على الكفاءة العاطفية؟ فماذا ينبغي علينا أن نفعل إذا لم تؤد الأسرة وظيفتها بفاعلية ليقف أطفالها بأقدام ثابتة في معترك الحياة؟

لابد إذا أن ننظر نظرة أكثر اهتماماً إلى إثبات المشاكل النوعية، التي تشير إلى أن أساس مشاكل الأطفال الخطيرة يكمن في النقص في الكفاءة العاطفية أو الاجتماعية، كذلك يتعين علينا أن ننظر في الكيفية، للأهداف التصحيحية والوقائية الفعلية التي تحافظ على أطفالنا من الانحراف.

خامساً: الأسس العاطفية

هذا التعلم العاطفي يبدأ منذ لحظات الحياة الأولى ويستمر طوال مرحلة الطفولة، فكل الأفعال الصغيرة المتبادلة بين الأبوين والطفل، لها محتوى عاطفي ضمني، ومع تكرار هذه الرسائل على مر السنين، يتكون مع الأطفال أسس رؤيتهم وقدرتهم العاطفية، فالطفلة الصغيرة التي تجد أن لعبة اللغز ليست سهلة تسأل أمها المشغولة مساعدتها، فتلقى رسالة ما فإذا أجابت الأم بسرور واضح أو إذا أجابتها إجابة جافة مثل لا تضايقني أن مشغولة بعمل مهم، فإن هذه الرسائل من خلال الموجات النمطية بين الطفلة والوالدين سوف تصوغ النقاط العاطفية فيما بعد بالنسبة لعلاقتها ورؤاها التي ستشكل الصفة الغالبة لأدائها في مجالات الحياة سواء كانت نحو الأفضل أو نحو الأسوأ.

غير أن المخاطر التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال الذين أنجبهم لسوء حظهم آباء، يتصفون بالحماقة وعدم النضج أو مدمنو المخدرات، أو الغاضبون غضباً مزمناً، أو الذين يعيشون بلا هدف في الحياة يعيشون حياة فوضوية لا يتوقع من مثل هؤلاء الآباء تقديم أي رعاية مناسبة لأطفالهم الرضع ولا يتناغمون مع احتياجاتهم العاطفية.

وقد وجدت الدراسات أن الإهمال البسيط يمكن أن يكون أكثر تدميراً نفسياً من

الشتائم المباشرة، كما تبين في مسح اجتماعي عن الأطفال الذين تعرضوا للإيذاء وسوء المعاملة، أن الصغار المهملين هم أسوأ الأطفال والأكثر قلقاً وتشتتاً ولا مبالاة وعدوانية وانسحاباً من الحياة، ويبلغ معدل من يرسبون منهم ويعيدون الصف الأول (65٪).

ومن المعروف أن السنوات التالية ومن خلال الفترة الأولى تغرس أنواع التعليم الأساسي باستعداد يفوق استعداد الفترات التالية في حياة الطفل، ويأتي التعليم العاطفي في مقدمة كل أنواع التعليم الأخرى، وخلال هذا الوقت قد يُفسد الضغط الشديد مراكز التعلم في المخ، ومن ثم يدمر الذهن، ومع ذلك من الممكن أن يعالج هذا الطفل فيما بعد إلى حد ما من خلال التجارب الحياتية وكما جاء في أحد التقارير أن نتائج الدروس العاطفية التي يتلقاها الطفل في السنوات الأربع الأولى نتائج هائلة، فالطفل الذي لا يستطيع تركيز انتباهه بالتشكيك أكثر مما يتسم بالثقة والحزن وبالتفاؤل والذي يشعر بأنه مدمر أكثر مما هو محترم، الطفل المقهور المشغول بالخيالات المفزعة، الذي يشعر عموماً بالتعاسة، إن مثل هذا الطفل ليست لديه فرصة على الإطلاق في أن يكون له نصيب، أو يتطلع أن يكون له حظ في فرص الحياة المتعددة.

سادساً: أهمية العواطف لصحة الإنسان

في عام 1974 أعاد رسم خريطة الجسم البيولوجية، اكتشاف تم في معمل بكلية الطب والأسنان بجامعة روشستر، فقد أكتشف العالم السيكلولوجي "ربرت أدر Robert ader أن جهاز المناعة مثل المخ يمكنه أن يتعلم.

كان اكتشافه بمنزلة صدمة علمية، إذا كان الشائع في علوم الطب أن المخ والجهاز العصبي المركزي وحدهما هما اللذان يستجيبان للخبرة بتغير أسلوب سلوكهما.

هذا الاكتشاف أدى إلى التوصل للطرق التي يتصل بها الجهاز العصبي بالجهاز المناعي - المسارات البيولوجية التي تجعل المخ والعواطف والجسد متصلة دائماً بل متضافرة تضافراً وثيقاً.

في تجربته وضع "ربرت" دواء يؤدي إلى تقليل كمية الخلايا "T" في طعام الفئران